

إتصل بي الصحفي الكوردي (هه ردي مه هدي) عن طريق البريد الإلكتروني وطلب الإجابة على الأسئلة التي طرحها، وهو في ذلك الوقت كان يعمل في مجلة لفين النصف شهرية. الحوار الذي جرى، نشرته مجلة لفين باللغة الكوردية ونشرها هنا باللغة العربية.

س: ماهو تقييمكم للإدارة السياسية الحالية وطريقة تعاملها مع الداخل الكوردستاني، هل يمكن مقارنة أداء الحكومة الحالية مع أداء حكومة عصرية تخدم مواطنيها؟

ج: تقييمي الشخصي عن القيادة الكوردية مبني على فهم جواب السؤال التالي: كيف تتصرف القيادة الكوردية مع الشعب الكوردي؟ فهم وإدراك "علاقة السلطة بالشعب" يتيح تشخيص جوهرية قيادة. من هنا أرى أن القيادة الكوردية تستغل الشعب الكوردي لأهدافها الشخصية والعائلية. فالقيادات الحزبية الحاكمة اليوم، تتمتع بكل الإمتيازات المالية والسياسية والحكومية والعقود التجارية وإمتلاك الشركات والأراضي الواسعة وتعيين الوزراء في حكومة بغداد أو حكومة الأقليم كما إنها تعين أعضاء البرلمان وتتدخل في أمور القضاء والمحاکمات وتصرف أموال الشعب على تجميل صورتها في أجهزة الإعلام الحزبية الإحتكارية وأفرادها فوق القانون ويعيشون في قصورهم الفخمة ويقضون حياة ترف وبذخ دون خوف من حسيب أو رقيب. كما أن أجهزتها الأمنية القمعية موجهة لرصد حركة الشعب الكوردي ومنع ظهور البديل الديمقراطي. إن أبغض الحكومات هي التي تستعبد شعبيها خلال إحتكارها لمصادر عيشه وإرغامهم على الطاعة خوفاً من فقدان لقمة العيش لأطفالهم وذويهم، إن هذا جلي في الوضع الكوردي الراهن. فالشعب الكوردي اليوم في كوردستان الجنوب "أسير" لقمة العيش. فمنطق الزعامة الكوردية هو:

"إن لم تصوت لي أقطع عنك الراتب"

و"سوف أطردك من هذا المنصب إن لم تأتمر بأوامري"

ولن أمنحك القطعة الفلانية من الأرض إن لم تعمل كذا وكذا.."

و "سوف أفسد سمعتك وشرفك من خلال أجهزة الأمن إن لم الخ ...

و"سوف أقتلك إن لم تكتب في الصحافة عن بطولات وعظمة رئيس الحزب"

وأنا أردّ على أسئلتكم علمت أن مجموعة إرهابية كانت تخطط وتعمل على تنفيذ عملية إغتيال لمحرر مجلة لفين السيد أحمد مير، لم أستغرب إطلاقاً فهذا هو منطق الرهط الحاكم الحالي..

وقد تم منذ زمن خلق الرهط الإنتهازي المتملق القديم وأضيف اليه المتملقون الجدد، وواجبهم الأساسي هو إطالة عمر الإستبداد الكوردي. ثقافة البعث حية في سلوك القيادة الحزبية المتسلطة. فالولاء لرئيس الحزب يفوق الولاء للحزب، والولاء للحزب يسبق الولاء للوطن. لكن كما هو معروف "المظلوم" هو أيضاً مسؤول عن الظلم الذي يلحق به خلال صمته وتهاونه مع الظالم. لايمكن أن نقارن أداء الحكومة الحزبية الكوردية مع حكومات عصرية، ففي كوردستان هناك رهط إقطاعي عشائري مرتزق، تبنى الحزبية والقومية والفرالية والديمقراطية وتداول السلطة زوراً، ليخدم أهدافه الخفية، وليس لنهمه للسلطة والمال أية حدود، يستغل الظرف الدولي والإقليمي الحالي وبالأخص "الصمت الأمريكي" ليمعن في تقوية نفوذه ويعادى كل ما هو خارجه. إن هذا يعرض كوردستان الى مخاطر الانفجارات الداخلية ويقلص من التعاطف الدولي مع الشعب الكوردي.

س: ماهي نتائج سلبيات الحزبين الحاكمين على الوضع المستقبلي لإقليم كوردستان؟

لايمكن فصل ماضي قيادة الحزبين عن الحاضر. ففهم الماضي مفتاح فهم الحاضر.

السؤال هو هل في الماضي تعاوننا مع جيوش ومخابرات معادية ومحتلة لكوردستان من أجل ضرب طرف كوردي آخر؟ الجواب : نعم

هل أقحمت القيادتان الشعب الكوردي في حرب إقتتال داخلي لأهداف شخصية؟ الجواب : نعم.

هل تعاوننا مع نظام صدام حسين بعد كوارث قوش تبه، الأنفال والإبادة بالسلاح الكيماوي، الجواب: نعم.

هل إستلما المال من نظام صدام حسين؟ الجواب: نعم.

هل زيفا الإنتخابات في كوردستان؟ الجواب: نعم.

هل إحترما حق الشعب الكوردي في الديمقراطية؟ الجواب " كلا.

هل تصرفا بأمانة وشفافية بأموال الشعب الكوردي ؟ الجواب: كلا.

هل يؤمنون فعلاً بمبدأ تداول السلطة. الجواب : كلا.

من هنا لا بد من إتساع الهوة بين الحاكمين والمحكومين، لأعطي مثلاً حياً، سألت أحد البارزانيين الذين يعيشون في الوطن، عن موضوع الإختلاسات والسرقات وما رآه، ردّ بوضوح: "القيادة الحالية أفرغت كلمة "الص" و"الصوصية" من كل معنى ودون أدنى إعتبار، فالأخلاق التي أوجدتها القيادة الحالية هي إن لم تختلس وتسرقت فأنت غبي وتفتقر الى الذكاء. هذا هو الخلق السائد اليوم والمعروف على نطاق كوردستان!!! وقد تأثر الناس بسلوك القيادة تأثيراً كبيراً، فالناس على دين ملوكهم. إن الأمور تتجه نحو المجابهة بين شعب عانى من صنوف الحرمان والتكثيف وقيادة مترفة فاسدة ومفسدة، لاتصغى الى صوت الشعب.

س: الا تعتقدون أن الهوية السحيقة بين السلطة الحاكمة والجماهير المحكومة سيؤدي الى ولادة قوة معارضة في كردستان؟

إن إتساع الهوية بين الحاكم والمحكوم هو في حد ذاته أمر سلبي. إذ بدل حشد الطاقات والتعاون المشترك في البناء الديمقراطي العصري وتكافؤ الفرص لأبناء كردستان وتحقيق النمو الإقتصادي المتوازن بين جميع شرائح المجتمع، تهدر الطاقات المالية والفكرية في توطيد حكم فاسد، ويمارس الضغط لكبت الحريات في المجتمع، ويغتال الصحفي المستقل، وتتمزق الجبهة الداخلية في المجتمع، ومن هنا خطر إستغلال القوى المعادية للوضع المتقبح لصالحها. وفي الوقت ذاته، "الشعوب الحية" تنهض وتعمل من أجل الخروج من قفص الإستبداد، عن طريق إيجاد تنظيمات لحشد الجماهير من أجل التغيير، أي تشكيل المعارضة الديمقراطية لإنقاذ المجتمع من براثن الفساد السلطوي. إنني على يقين من أن عوامل التغيير موجودة في مجتمعنا الكردستاني الحالي، وينبغي تفعيلها والكف عن الإنتظار، لعل وعسى أن تصحو القيادة الحالية من سكرتها وتكبح جماح طموحاتها المريضة في التسلط والإدخار غير المشروع!! إن هذا لا يتعدى ان يكون وهماً.

س: هناك توجه مفاده ان بلداً يعاني من فساد السلطة يكون البديل هم الإسلاميون، ويتحول هذا الى نشوء ظاهرة العنف، كما هو الحال في مصر بين السلطة والجماعات الإسلامية؟

ج: القوى الإسلامية الموجودة في الساحة الكردستانية، لاشك تترسخ بفضل فساد "الزعامة الكردية" التي تقدم نفسها في الدعاية الحزبية كـ "بطلة الحقوق القومية الكردية" وليس هناك مخاوف من الإسلام المعتدل والغير مرتبط بأجندات خارجية. إن نموه هو أمر طبيعي في مجتمع كردستان المسلم والمسالم. لكنني لا أعتقد أن البديل الإسلامي هو الآن من القوة ومن القبول لدى المجتمع الكردي بحيث يكون البديل المقبل الكاسح. في نظري ينبغي عمل تحالفات واسعة بين قوى دينية معتدلة وقوى علمانية أو قومية نزيهة. فأساس التحرك الحالي ينبغي أن يحقق عوامل التغيير الديمقراطي لإنقاذ المجتمع من التدهور والفساد الحالي. كما لا يجب نسيان ضمان حقوق معتققي الأديان الأخرى في كردستان، فالتنوع في المذاهب والأديان هو مصدر غني هائل لكردستان ولل البشرية. كما إن تحالف القوى الإسلامية مع قوى غير دينية يعطى إنطباعاً إيجابياً عن انفتاح المجتمع الكردي وتسامحه لخير جميع قاطنى كردستان..

هناك ظاهرة ملفته للنظر في المجتمع الكردي، الا وهي "قوة التبعية العقائدية للخارج"، فالشبيوعيون والقوميون والإسلاميون الكورد أظهروا الطاعة والتبعية للخارج. فقد قلّد القوميون الكورد الأحزاب القومية في المنطقة وبشكل خاص حزب البعث الصدامي، وتبنوا نفس أساليبهم في القمع والتسلط على رقاب شعبيهم، وأشتهر القادة الكورد بفسادهم وإنتهازيتهم القومية. ولم يرتبطوا بصدق بمصالح وطموحات شعوبهم. كما إستخدمت القوى المعادية للحقوق الكردية الإسلام خدمة لمصالحها وخذعت الكورد بإسم الإسلام في مراحل عديدة من التاريخ. على سبيل المثال ما حصل في بداية الحركة الكمالية ونجاح مصطفى كمال، في حشد طاقات الأمة الكردية بإسم الدين الحنيف في خدمة حرب الإستقلال التركية. طوال التاريخ أثبتت الإسلام الكردي أنه أقل دهاءً من إسلام الشعوب المجاورة والتي إستغلت الدين لإحتلال كردستان وبناء إمبراطوريات واسعة، فقد نجح العرب والفرس والترك في ذلك، بينما أخفق الكورد وظلوا خاضعين لجيرانهم يعانون من الظلم والحرمان والتخلف.

س: فيما يتعلق بموقف نوشيروان، هل تمكن من احداث التغيير داخل الاتحاد الوطني الكردستاني، هل تتوقع نشوء معارضة من قوى البيشمركة القدامى، وهم معارضي الحاضر؟

ج: عام 1004 كتبت مقالاً بعنوان (رياح التغيير في كردستان) ونشر في (كورديش ميديا) ترجم الى اللغة الكردية ونشر في مجلة (روشنگه ري)، وكان الغرض من كتابته هو التأكيد على أن رياح التغيير تبدأ من المثقفين في السليمانية و ثم بعد فترة تتحرك نحو أربيل وبادينان. فالمدينة متحررة الى حد كبير من قيود الثقافة الإقطاعية والتي لاتزال تتحكم في بادينان بفعل دعم حكومات بغداد لها طوال القرن الماضي وكثرة عناصر المرتزقة فيها وإرتباط قيادتها الحالية بنظام صدام حسين منذ عام 1991 الى 2003. أعتقد أن مايجري اليوم من تغييرات داخل (ينك) هو أمر طبيعي في محيط مدينة يقظة واعية سياسياً لعوامل الفساد والإستبداد جراء حكم إدارة دون مستوى المسؤولية التاريخية في تحمل أعباء المرحلة الحالية.

هناك تناقض واضح بين تطلعات "أبناء المدينة الواعية" وطريقة إدارتها من قبل نمط إداري متخلف منكفىء نحو شخصنة جميع المؤسسات،

بين قيادة فرصت الجمود وجماهير تتوق الى الحركة نحو الأمام
بين محيط خانق وبين رغبة الخروج الى الهواء الطلق،

الظاهر أن عنصر الكرامة أمر جد هام، ف "أبناء المدينة الواعية" لا يقبلون أن ينفادوا (كالكطيع) هؤلاء يريدون أن يشاركوا في رسم مصيرهم، مدينة تريد السير قدماً نحو الغد وترفض العودة الى الأمس.

لاشك أن من مصلحة قيادة (ينك) تفهم هذه الحقيقة وإحترام إرادة القوى الناهضة وسط جماهير كردستان.... كما أن نمط حكم الآغا السائد في أربيل وبادينان وتبني قيادة (ينك) سياسة تقليده لن يجد تربة خصبة بين جماهير المدينة الواعية... أنا لأعتقد أن الأزمات

التي تحصل داخل (بنك) هي شخصية الطابع، إنما هناك تطلع جماهيري عميق يعمل باتجاه تجاوز الإدارة المتخلفة الحالية، هذا المنحى موجود بقوة في مجتمع كردستان بعد مرحلة الأنفال وسقوط نظام صدام حسين جراء التدخل العسكري الأمريكي البريطاني وحميتهم ومساعدتهم للكورد في بناء إدارتهم.

س: إن لم أكن على خطأ، كتبتكم في الأعوام الماضية عن أصل البارزانيين وعقائدهم، هل أنهم قدموا من خارج كردستان، لاتزال هناك نقاط غامضة، كيف ترون الفروق بينهم وبين الآخرين فيما يخص عقيدتهم؟

ج: العامل المميز لبارزان، مقارنة بالمشيخات الأخرى الجارة، هو أنها تطورت وترسخت خلال المقاومة العنيدة لحكم الإقطاع المرتق، وإستغرق ذلك حوالي القرن، فقد كان الأغوات بالأخص في منطقة الزبيبار يمارسون صنوفاً من الظلم تجاه أهالي القرى، وهناك نوعين من الأغوات الكورد، "أغوات الجبال"، وهم أقل غنى وأكثر عنفاً بكثير من الصنف الثاني "أغوات السهول" الأكثر غنى. العديد من الصنف الأول مارسوا أعمال قطع الطرق واللصوصية وفرض أعمال السخرة تجاه القرويين المعدمين، وكانوا طغاة ومجرمين. وتمكنت بارزان بفضل تعاليم الطريقة النقشبندية بناء مجتمع متحد مناهض لظلم الأغوات، و تم تحويل مالديها من طاقات نحو النضال من أجل الحقوق الكوردية، وقد تجلى ذلك في عهد الشيخ عبدالسلام الأول المعاصر للشيخ عبيدالله النهري وأشترك في إنتفاضته عام 1880. ثم في عهد الشيخ عبدالسلام الثاني الذي أعدم عام 1914 في الموصل، ففي عهده تمازجت المشيخة مع الحركة الوطنية الكوردية والشيخ كان على إتصال بالتنظيمات السياسية الكوردية في استنبول ووان. وفي عهده واجه هجمات الأغوات المتحالفين مع الحكومة التركية وأنخرط الأغوات في سلك الإرتزاق ضمنهم جَد وأحوال رئيس حدك الحالى السيد مسعود ملا مصطفى والذي تربى في ذلك المحيط. ثم دامت ظاهرة الإرتزاق في العهدين الملكي والجمهوري وواصلت بارزان المقاومة. وبعد رحيل شيخ بارزان الخامس (أحمد) أشعل ملا مصطفى معركة الوراثة في بارزان وضمن صفوف أولاده بالذات، وأولاد شيخ بارزان، فتمزقت وحدة البارزانيين، ولم يكن ذلك لا من مصلحة الحزب الديمقراطي الكوردستاني ولا من مصلحة الشعب الكوردي ولا في مصلحة بارزان، إنما صبت مباشرة في مصلحة نظام صدام حسين.

كان العرف السائد في بارزان هو الإبتعاد عن التملك، وكان هذا مصدر قوتها وهيبته، لم يكن شيوخ بارزان أغنياء، وقد أشار الى ذلك العديد من الكتاب والمؤرخين ضمنهم الكاهن الإنكليكاني دبليو ويكرام، في كتابه الشهير: (مهد البشرية). وعاش أفراد العائلة البارزانية بين القرويين بلا إمتياز. ولو راجعت كتابي المعنون بـ (بارزان وحركة الوعي القومي الكوردي) لوجدت معلومات عن نمو وتطور ومصدر قوة بارزان. لذا إن قارنت أخلاقيات بارزان الحقيقية الماضية وبما آلت اليه الأمور تحت سلطة السيد مسعود، ليصيبنا التفزز والإشمزاز. لا يمكن بأي حال من الأحوال إعتبارها تمت بصلة الى بارزان وأخلاقيتها إنما معادية لها.

في حين نشأت المشيخات الأخرى الجارة لبارزان في محيط هادىء ومارست سياسة التفاهم مع الحكومات المحتلة لكوردستان، ولم تحمل سلاحاً ضدها، كما أنها مالت نحو جمع المال والثروة، وكانت تعادى مشيخة بارزان وتتهمها بالمروق والإنحراف.

وهناك نقطة قميئة بالذكر، الا وهي أن الإجتهد في بارزان المنسجم مع الطبيعة، جعلها تختار مسارها المتميز، فعلى سبيل المثال سنت أحكام ملزمة للجميع مثل: منع قتل الأفعى السوداء. منع هدم خلايا النحل. منع قتل الطيور والحيوانات في فترة حملها أو عنانيتها بصغارها. منع صيد الأسماك بالقنابل. منع قطع أشجار الثمار أو الشجر الوارف الظلال. منع قتل الحيوانات والطيور أثناء شرب الماء. منع حمل الدابة أكثر من طاقتها. كان هناك نوع من الثقافة الأصيلة نبتت من داخل المنطقة وخلال الوقائع التاريخية التي مرّت بها بارزان منذ نشأتها في بداية القرن التاسع عشر وحتى وفاة شيخ بارزان الأخير عام 1969(أحمد).

لم أرى وثائق مكتوبة تشير الى موطن آخر نزحت منه العائلة الى بارزان، وأكثر مالدينا من دلائل تشير الى كونها من سكنة بارزان بالذات، والسبيل المتاح للبحث عن ذلك بشكل أكثر تفصيلاً، هو مراجعة سجلات الكنائس والأديرة والمساجد وما كتبه علماء الأديان الثلاثة: اليهودية والمسيحية والإسلام في هذه البقعة من الأرض. إن تعايش الأديان الثلاث دليل على نزعة التسامح السائدة في تلك البقاع من أرض كوردستان. فقد أوجدت في بارزان منذ أزمنة بعيدة معبد لليهود وكنيسة للمسيحيين ومسجد للمسلمين ومتقاربة من بعضها البعض بحيث لا تتجاوز خمسين متراً..... فهناك مخطوطة للشيخ عبدالسلام الأول فيها بعض التواريخ التي تسمح بإستقاء بعض المعلومات لكنها لا تتجاوز النصف الأول من القرن التاسع عشر

ليست لدي مصادر موثوقة تشير الى كون العائلة البارزانية جاءت من خارج كوردستان. فالمعروف وثنائياً أن العائلة كانت موجودة في بارزان منذ بداية القرن التاسع عشر، وكانت مركزاً لعلماء دين مشهورين في ذلك الوقت. بالأخص الشيخ عبدالسلام الأول، وهو الشيخ الثاني الذي تولى مهام الطريقة النقشبندية بعد شقيقه الشيخ عبدالرحمن، وتجد بعض التفاصيل في كتابي (بارزان وحركة الوعي القومي الكوردي)¹ عن موضوع أصل العائلة البارزانية. لقد أحدث مولانا خالد تغيرات عميقة في المجتمع الكوردي لاتزال آثارها معنا حتى الآن.

¹ الكتاب يمكن مشاهدته على الموقع الإلكتروني التالي : www.kcdme.com

أما فيما يخص إنحراف بارزان عن أسس الطريقة النقشبندية، كما روج لها في فترات مختلفة منذ نهاية القرن التاسع عشر وطوال القرن العشرين، فأنا أعتقد أن ذلك يعود إلى أسباب سياسية، فقد حاربتها الحكومات المتعاقبة على كردستان، منذ العهد العثماني، ووجدت جميع الحكومات فيها عقبة أمام إحتلالها لذلك الجزء من كردستان.. وحاول البريطانيون وهم يوسعون إحتلالهم العسكري لكوردستان تآليب القبائل الكوردية ضدها، من خلال نشر شائعات عن إنحراف بارزان عن الدين الإسلامي وإنها تبنت المسيحية وما إلى ذلك من دعايات لاتمت بصله إلى السلوك الحقيقي للمشيخة. وقام أغوات القبائل المعادية لبارزان بإيصال أخبار ملفة إلى الحكومات المتعاقبة في بغداد، مسيئة إلى سمعة بارزان لعنائهم المزمين تجاهها ولضياع نفوذهم في المنطقة. لكن يجب القول أن بارزان لم تتطلع إلى أخذ المشورة الدينية من أحد، أي إنها لم تكن تابعة لعلماء دين خاضعين للدولة، إنما إعتدت على الذات وطورت مفاهيمها إستجابة لمتطلبات الأتباع الروحية والمادية. إن هذه الأصالة هي إحدى أهم أسباب العداء لها من قبل المحتلين والإقطاع الكوردي المتحالف مع المحتلين.